القرآن والعلم

تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والعلم

فيرد الشبهات التي يوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشتبه بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للطعن في الكتاب العزيز ناسبين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في (مقالات الدين في نظر العقل الصحيح) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتني ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلهذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظر فيه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجده الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواهيه ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به علي حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين:

المسألة الاولى

﴿ الحجر ﴾

قال الله تعالى (١٥ : ٨٠ ولقد كذّب اصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) . اعلم

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بترا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة « سالع » كما في سفر الملوك الثاني (١٤ : ٧) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين « بترا » و « سالع » بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون اهلها الأولين بالهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر « الحجر » في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ « بترا » اليوناني لتوهمه انها بفتح الحاء والجيم « الحجَر » وبنى على ذلك ان « الحجر » في القرآن هو « سالع » في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالع هذه معروف عنها ما ينافي ان اهلها اهلكهم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه الغلط والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم لكاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلموا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترا او سالع وان احداهما تبعد عن الاخرى بعدا عظيما فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى اهلها « ثمود » ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة « أثالب » كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالع ليرى بعينيه راسه أنهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالع . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى « سالع » أي الصخرة . وما يزعمه بعضهم ان جميع ما نراه فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يقم دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبنى على الارض والبعض الآخر ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤ وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا — الى قوله — ٧٨ فاخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعها كذلك في اول أمرهم. ومن ذلك تعلم خطأ ماقاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسمى (محمد) في هذه المسألة

المسألة الثانية

﴿ الإسراء وتاريخ بيت المقدس ﴾

قال الله تعالى (١٧ : ١ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت كان خربه تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف إن النبي أسرى به اليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا يشترط فيه ان يكون محاطا بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدإ الإسلام إلا أمكنة بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه يسمونه مسجداً لهم بل سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجدا لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا يلزم من قول القرآن إن النبي أسري به إلى المسجد الاقصى انه كان إذ ذاك مبنياً مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى أورشليم وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الاقصى من الخراب ومع ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

(١) المنار: راجع ص ٦٩٩ وما بعدها من المجلد السادس

فيهما أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خربا . على ان الظاهر ان القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) اي إنّ النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتا للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانىء أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة . فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه

ومثل هذا الاطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذبائح (٢٢ : ٣٣ لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) مع ان الذبح لا يعمل في نفس البيت وانما يعمل في « منى » بالقرب منه

اما ماورد في بعض الروايات من ان النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في احدى حلقات بيت المقدس فالاقرب عندي ان هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تعمير بلاد المسلمين لهذا البيت اي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا ان مايشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم ان القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال اننا فيما قلنا ملفقون أو اننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب اليه مالم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون . بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الاسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧ : ٤ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدُنّ في الارض مرتين ولتعلنّ علوا كبيرا ٥ فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) هم بختنصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار) اليهودية اي

(١) المنار : في ص ٧٠١ م ٦ توجيه لهذه المسألة مبني على صحة الحديث

جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير (وكان وعداً مفعولاً) ثم رددنا لكم الكرة عليهم) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر ملكتهم وفتح بابل وأعتق اليهود من أسرهم وأكرم مثواهم وأحسن اليهم وردهم الى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على اعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد الى اليهود شيء كثير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه بختنصر وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) فرجعوا من الاسر باشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبهائم وتحف وغيرها حكما في سفر عزرا (١ : ٤ — ١١)

(٧ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة) العقوبة الثانية (بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن.

وإنما قال القرآن «كما دخلوه أول مرة» مع ان الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فانه قال في أول القصة «بعثنا عليكم عباداً لنا» بدون ذكر جنسهم. وهذا على حد قولك «دخل الأوربيون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى» مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون انكليزاً وفي الأولى فرنساويين ولا اشتراكهم في الوصف (وهو كونهم أوربيين) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً ليهود العرب (٢ : ٥٥ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني اسرائيل في زمن موسى ولاشتراك يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات

فما تقدم تعلم ان القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما اوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان

وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها تشتت اليهود في انحاء العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولها تاريخ الأمة اليهودية وعليهما يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأمي العامي الناشئ بين الوثنيين أن يستخلصها من تاريخ الامة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يقم على تربيته معلم وليس له مدارس ومع ذلك قد لخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الاعجاز وعبرة العبر وحكمة الحكم مع مافيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ماحل بهم من المصائب حتى كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس المخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعياء ٤٥ : ١) فلذا كثر الثناء عليه في كتب العهد القديم لانقاذه اياهم من المحن والبلايا والرزايا التي حلت بهم في بابل التي اطنبت كتبهم في وصفها وتعديدها وانذرهم الانبياء بها قبل وقوعها ثم صاروا يبشرونهم بالخلاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب أشعياء وغيره مما صار النصارى يزعمون أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم ولعوا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتى انهم كانوا ينسبون للمسيح عليه السلام من الحوادث ماينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر (اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح ٢٧ : ٩ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب زكريا بعض ألفاظ تشبهه (أصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاملهم

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بيناه وبينه

ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومانيين صاروا يترقبون مجيء مخلص لهم ككورش وهم إلى الآن ينتظرون ذلك ! !

هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً او رؤيا منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (لها بقية)

باب المناظرة والمراسلة

السنن والاحاديث النبوية

٢

بحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ هو ابطال حكم لبدل اولغير بدل» واقول ماذكره من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا نطيل بالمناقشة فيما يتعلق بالعبارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين — اما هو في عرف السلف فهو زيادة على ماذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تقييد او